«أمسترونغ» والآخرون

قصة بقلم محمد محمود زين الدين

مات كل اثر للحماس فيه . كل الاشياء تتجمد في عالمه البارد ، الصامت .

* بعد قليل ننتقل اليكم أعظم حدث تاريخي في هذا القرن ...

لا . لست بحاجة لاي موظف . ودار حول مكتبه الضخم ، وغاص في كرسيه . وظهر رأسه من خلال المكتب كرأس فار صغير يحاول أن يفلت من فخ وقع فيه فجأة .

كانت أسماء المجلدات القانونية والتشريعية المذهبة بارزة عند أطرافها . رمقها بلامبالاة . ثم تابع حديثه بسحنته البيضاء ونظارته الدائرية ، السميكة ، محاولا تلطيف الجو : كان بودي أن أستخدمك . لكنني لست بحاجة الان .

* ما زالنا بالانتظار الانتقال بكم لمشاهدة الحدث التاريخي العظيم ..

وقف مع عشرات الوجوه ينظرون ببلاهة الى لوحة الاعلانات عند مدخل هذا البناء الضخم ، المترامي : (تعلن الادارة الرسمية عن حاجتها لطبيب بيطري مصنف عدد واحد . تجري المباراة للمستوفين الشروط نهار الخميس الواقع في ...) .

نظر اليه زميل يقف بجانبه وتفحصه مليا دون ان ينبس ببنت شفة . ونظر اليه هو الآخر ودار بينهما حوار صامت ، خفي ، تعجز الالسن عن التعبير عنه وتفصح عنه النظرات .

ضحك الاثنان وانتهى بينهما الحوار بسلام .

طبيب بيطري ! لكنه بحاجة لبهائم !

أدار ناظريه في الوجوه الجامدة يتفحصها . هذه الوجوه قلما تتعاطف معه . هذه اللزوجة في جسده تبعث في نفسه التعب والتعب دائما يبعث فيه الاحساس بانه ما زال موجودا .

ـ هل انت طبيب بيطري ؟

ـ بيطري ! ضحك لاول مرة في هذا اليوم الصيفي الحار .

هذا اول وجه يتعاطف معه . في عيني صديقه حرارة دافئة .

ـ لا ! انا فقط الوك المفاهيم السياسية ، وابيع المذاهب .

ـ انها تجارة كاسدة ، تبور بضاعتها ويفسدها الزمن .

ـ لكن لمعانها الدائم يغري العيون والابصار !

ـ هل تعتقد ان بين هذا الجمع مشتريا ؟

* بدأت محطة الكهربائية بالبث والتقاط الصور مباشرة لعملية نزول المركبة الفضائية ، الاميركية ، على سطح القمر . هذا الحدث العلمي الفذ الذي سيغير وجه العالم الحديث ...

ـ أعتقد ان هناك الكثير من المشترين والبائعين !

* بدأ البث منذ هنيهة والصور كما تظهر على الشاشة واضحة جدا . ولعل هذه احدى أعظم حسنات المحطة الجديدة التي تحقق بذلك احدى القفزات العلمية الواسعة .

ساد في المنزل نأمة خفيفة وجعجعة . وعاد الصمت العقيم يسود الغرفة الصغيرة . جلس واحد آخر بينه وبين عمه وأبيه .

وحاول أن يجمع نفسه محاولا أن يتخلص من ضغط هذا الآخر . ترامت اليه أصوات الصغار المختلطة في الغرفة المجاورة وهرولة الصغير نحو الباب وضحكات الآخرين .

* ستحط المركبة بعد قليل على سطح القمر ..

ـ في المصرف التعاوني الزراعي ، لم يقبلوا المستندات . قالوا : انها غير كافية ، وليس باستطاعتهم أن يمدوني بسلفة طويلة الامد (همهم عمه) .

ـ لكنهم هم الذين طلبوا ذلك !

ـ حاولت ان اقابل المدير ..

* اللحظات وتربض المركبة الفضائية الاميركية « ابولو » على سطح القمر لاول مرة في التاريخ ..

ـ وماذا قال المدير ؟

ـ لم يقل شيئا . حاولت أن أطلب منه سلفة محدودة الامد .

ـ وبعد ؟

ـ حاول تأخيري .

* ابولو التي انطلقت منذ ثلاثة أيام من كيب كندي تحاول الآن الهبوط بسلام على أرض القمر .

ـ هل ستعود خالي الوفاض اذن ؟

ـ ربما ! فلن أستطيع أن أحصل على السلفة من المصرف على ما يظهر .

ـ كان عليك أن ترسل لي اعلاما بذلك بدلا من أن تتكلف عناء

السفر . اللكان بعيد !

ـ حقا ! الصداع يتحكم بي دائما .

* بعد هبوط ابولو سيحاول « ارمسترونغ » أن يخطو على سطح القمر أولى خطوات يخطوها انسان على سطح كوكب غير الارض .

سيكون هذا آخر مكتب سيطرق بابه . انه يحس بالذل وهو يقف أمام هذا المحامي وهو الـــذي لا يني يكيل التهم ضد هذه الطبقـــة البرجوازية ، المتخمة ، والمترفة . وبالرغم من حقارته وخيانته لنفسه فانه يحاول أن يتماسك ويحكم ارادته ويضبطها . انه بالحري يحـاول أن يبرر عمله . كانه مشطور الى جناحين . لقد تذكر كلاما لرفيقـه : نحن شباب العرب مشطورون لقسمين .

* ما هي الا لحظات حتى تهبط المركبة بسلام على أرض القمر . يعجبه حماس هذا المذيع العربي . هل هـــذا أيضا مشطـــور لقسمين ؟

ـ سأحاول مرة ثانية العودة لاستلف من المصرف .

ـ خيرا تفعل .

ـ وهذا ما يجب أن يفعل والا ...

ـ الحقيقة ان هذه المصـــارف ما عادت مؤتمنة . كل الاشيـــاء أصبحت هشة ، سريعة العطب .

ـ آه ! صحيح ! لقد تعذبت اليوم كثيرا . انتقل من غرفة لاخرى ومن موظف لآخر . هذا يحتسي القهوة وذاك يقرأ الصحيفة وآخر يتكلم بالهاتف ... لقد تضايقت كثيرا .

ـ هذا هو عملهم !

ـ نسيت أن أقول لك انني صادفت (س) في احدى الغـرف . كان مثل الآخرين يحتسي قهوته .

ـ ألم يساعدك ؟

ـ يساعدني ! عجيب أمر هذا الفتى . قال انه لا يستطيع فعـل شيء آخر غير أن أنتظر .

ـ تنتظر ؟

ايضا قال له ذلك الرجل ان ينتظر خاصة ان كفاءتـه العلميـــة متوفرة . وكان آخر مكتب يطرق بابه .

ـ عليك ان تنتظر .

الانتظار كلمة مرنة ترضي الجميع . لكنني لا استطيع أن انتظر .

ـ انت حر !

* ها هي ابولو تهبط برفـــق بعد طول انتظار وشوق عـــلى سطح القمر .

ـ بالرغم من ان فائدة السلفة السنوية كبيرة فهم يحاولون أبدا التملص من تعهداتهم والتزاماتهم .

* ارمسترونغ ينزل من العربة ببطء ، بعد أن يتفقد أنبوبـــة الاوكسجين وسيحاول الاتصال من كوكبه بالاختصاصيين العلمـــاء في القاعدة الارضية . وسيضع الراية الاميركية على تراب الوطن كـــأول انسان اميركي يحاول غزو هذا الكوكب المجهول .

انها خطوة قصيرة على سطح القمر . لكنها خطوة جبارة للانسانية في الارض . انها انتصار كبير للانسانية ..

انه يحس بالتعب والكلل في انحاء جسمه . يهتصره الاثنان بجانبه كانه بين فكي كماشة حديدية .

ضحك في سره وغمره شعور مبهم ، متناقض . تصفحت عينـــاه عنوان الصحيفة أمامه : (طبعة ثانية) . ارمسترونغ يحاول الآن الهبوط على سطح القمر . قلب الصفحة : طـــائرات الفانتوم الاسرائيلية والاميركية الصنع اغارت امس على منطقة السلط في الاردن . الطائرات الاميركية الضخمة تجدد غاراتها على اراضي فيتنام الشمالية .

* انها خطوة في سبيل الانسانية جمعاء .

الشعور المبهم تشتد وطأته على صدره . تدور في رأسه دوامة حزن غامض . يحاول ان يفلت من تحت قدم ارمسترونغ التي تحـاول أن تسحقه . قدمه ثقيلة .. ثقيلة .

* التراب في القمر ناعم كمسحوق الفحم .

العلم يحقق المعجزة في السماء لكنه في الاردن وفيتنام كـــابوس اسود ، كهذا المسحوق الذي تغوص فيه أقدام ارمسترونغ بتؤدة .

بضعة آلاف يحتجون في مقاطعات الهند الشرقية ضد الحكومة . مطالبين بالمعيشة الكريمة والطعام .

* ارمسترونغ يضع الان قـــدمه الجبارة فتغوص في التـــراب الدقيق ، الناعم . يا لفرحة العالم بهذا الانتصار العلمي ، الساحق .

لقد بدأت تبرة المذيع تشتد وتعلو .

لعله اليوم لم يقرأ بقية الاخبار .

انه يحس احساسا عميقا بالتناقض يصطرع في نفسه فـــلا يستطيع أن يفسره . لعل الاحاسيس لا تترجم الى كلمات ! انها تفلت كالماء وتعصى على التاطير ضمن قوالب الكلم .

ـ أتصدق ما تلتقطه عيناك من صور ؟

ـ لعلها هرطقة . لا أستطيع أن أصدق ان العلم يستطيع أن يهتك ستر الغيب الالهي .

ـ الا ترى بام عينك ؟

ـ أتصدق كل ما تراه أعيننا ؟

لعل ابي هو الآخر مشطور فـــي احاسيسه وادراكاته . واحس بالندم يعضه . لقد تجنب الكثير مـن الاحاديث والحـوار مع ابيـه .

لماذا هو يحاول ان يشترك في الحديث ؟ لماذا يحاول أن يدافـع عن شيء يحس تجاهه بالتناقض والابهام ولا يدرك كنهه ؟ لعل الانسحاب هو الافضل .

* يغرز الآن ارمسترونغ العلم الاميركي رمزا للانتصار العلمي .

ما زال الاثنان يهصرانه ويضيقان انفاسه .

انسحب عنه عن الكتلة . أحس بموجة ارتياح تغمره . وتقـــدم الرجل نحو باب الغرفة الاخرى والتفت : لا تنس ان تحاول غـــدا الذهاب الى المصرف الزراعي واعادة الكرة علك تنجح وتحصـــل على السلفة .

احمد محمود زين الدين

رحلة الخفاش

مجموعة قصص

بقلم

محمد رؤوف بشير

صدر حديثاً

٢٥٠ ق.ل